الثورة
Monday : 15 Rabee'a Thany 1434 > 25 February > Issued No. 17630
culture

المسرح وسيلة فاعلة للتثقيف الجماهيري

د. محمد علي بركات
Drbarakato@gmail.com

لاشك أن المسرح كوسيلة فاعلة للتثقيف والترفيه يعتبر ضرورة حياتية .. بل ويشكل التماس مع هموم البشر على مختلف الأصعدة المحلية أو العربية أو العالمية .. على اعتبار أنه مؤسسة اجتماعية .. عليها مسؤولية كبيرة في تشكيل الوعي لدى المتلقي في الجوانب الفكرية والمادية ..

ولكي يؤدي هذا الفن الشامل .. الدور التنويري بشكل فاعل .. لابد أن توجد سياسة للعمل المسرحي بمختلف أشكاله ..بحيث تحدد من خلالها ملامح هذا النشاط الفني وأهدافه النبيلة .. وكذا تحديد الجمهور المتلقي لهذا المسرح على أن تبنى سياسة العمل المسرحي وفقاً للمعيار الموضوعي معيار القيمة ..

وهناك العديد من التصورات لتطوير الأداء في هذا المجال أهمها وجود العقلية العلمية المنظمة .. ووضع البنية التحتية للمسارح بشقيها المادية والفكرية ..والاستفادة من جميع القدرات المسرحية في مختلف التخصصات الفنية ..

إضافة إلى ضرورة تنشيط الحركة المسرحية في كافة أنحاء البلاد باتخاذ عدد من الخطوات .. أهمها تقديم الدعم وجميع التسهيلات للفرق المسرحية الوطنية وتشجيع ودعم المسرح المدرسي ومسرح الجامعات .. وتفعيل كل منهما بجدية .. وكذا تبني الجهات المعنية لإقامة عروض مسرحية في النوادي والجمعيات والمصانع والنقابات العمالية .. ولكي تكون العروض المسرحية متاحة لمجمل القطاعات الجماهيرية .. يمكن تصويرها للإذاعة المرئية (التلفزيون) وعرضها على الشاشة الفضية ..

كما أن من أهم عوامل تفعيل الدور الريادي لفن المسرح أبي الفنون الإبداعية مواكبة التطور التكنولوجي والمعرفي ومواكبة التحديات التي تواجهها المجتمعات العربية .. وإدراك المخاطر القائمة على الساحة القومية والدولية ..لتشكل هذه العوامل مادة أساسية للعملية الإبداعية .. وبالتالي فإن ذلك يتطلب الإدراك الواعي للأدوات والمفردات الفنية التي يمكن توظيفها في الأعمال المسرحية .. ولا نغفل هنا بالغ الأهمية للحرص على الإطلاع باستمرار والاستفادة من النشاطات المسرحية العالمية .. بحيث تمضي هذه الخطوات في ذات الوقت وبنفس الوتيرة مع البحث بجدية عن أشكال تعبيرية تنبع من بيئتنا المحلية ..لتستجيب لقيم مجتمعنا الجمالية والروحية .. فالحاجة ملحة لجهود جميع المبدعين في سبيل تقديم أعمال فنية قيمة .. تتضمن الدعوة إلى القيم السامية قيم الخير والحق والجمال وإلى مواجهة السلبية والتطرف والأفكار العقيمة ..

كل ذلك لابد أن يتحقق في ظل حرية التعبير ..واستمرار التطوير ..وتلك أهم المبادئ التي ينشدها الفنان لكي يؤدي رسالته من خلال الفن الراقي والفكر المستنير .. الرسالة الفنية التي تخدم مختلف القضايا الوطنية والقومية ..فقد كان لفن المسرح في الوطن العربي دوراً فعالاً ومؤثراً في حركات التحرر في عدد من البلدان العربية الشقيقة ، وظل المسرح بدوره البارز مواكباً لمراحل البناء والتنمية ..

ولضمان نجاح تنفيذ تلك الأفكار والتصورات .. هناك عوامل أساسية لابد أن تبنى عليها جميع النشاطات .. أهمها وضع آليات للتنفيذ ووضع الميزانيات التي تمكن المعنيين من إنجاز الخطط والبرامج التنفيذية .. للأعمال الفنية المطلوب إنتاجها وفق فترات زمنية منتظمة دون الارتباط فقط بإنتاج الأعمال المناسباتية .،وتلك هي القضية .

> تنشيط المسرح يحتاج إلى الدعم وتشجيع الفرق المسرحية الأهلية والمسرح المدرسي

زبيد.. سحر الخيال وبؤس الواقع

(١-٢)

هشام علي

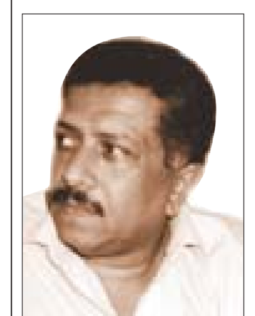

<،، يكثر الحديث في هذه الأيام عن مدينة زبيد، لا سيما بعد أن أعلنت منظمة اليونسكو أنها مهدّدة بخطر الخروج من قائمة التراث العالمي، وكانت مدينة زبيد قد دخلت قائمة التراث العالمي في ١٩٩٤م حسب ما اتذكر، لتكون ثالث مدينة تاريخية في اليمن إلى جانب صنعاء القديمة وشبام حضرموت.

والانضمام إلى قائمة التراث العالمي هو امتياز خاص تضعه اليونسكو للمواقع التاريخية والأثرية في العالم، وتحظى المدن والمواقع التاريخية بدعم دولي للحفاظ على المعالم التاريخية واستمرار وجودها، باعتبارها تراثاً إنسانياً مشتركاً للبشرية كلها، وينبغي أن نحمل على صيانته والمحافظة عليه، وكانت ميزة المدن التاريخية اليمنية الثلاثة أنها مدن حية وليست شواهد خالية على عروشها، فالناس يعيشون في هذه المدن، يمارسون التجارة والصناعة التقليدية في أسواقها، يتعلمون في مدارسها ويصلون في مساجدها، بمعنى أوسع، أنهم يمارسون حياتهم الطبيعية بكل أشكالها، وهم في الوقت نفسه يتعرضون لغواية التجديد والحداثة، ويحلمون بتغيير منازلهم وأسواقهم لتصبح متوافقة مع العصر، إلا أن ما يحملونه من تراث على كواهلهم يجعلهم لا يستسلمون لغواية الحداثة وإغراءات التجديد، فالتنكر لهذا الميراث المعماري الذي استمر مئات السنين، وارتسم في ذاكرتهم هوية وعنوان وجود، أمر صعب التحقيق.

إن الجدران والأبواب والنوافذ والطرقات والأسواق وأشياء أخرى كثيرة في هذه المدن، ليست أشياء صامتة، أنها تتكلم بلسان التاريخ وتحمل قصة الأسلاف الذين عمروا الأرض ورسموا توقيعاتهم على الجدران، وكتبوا أسماءهم على جذوع النخل والأشجار، أصبحت هذه المدن التاريخية تعبر عن سردية كبرى، وتكشف علاقة الإنسان بالبيئة والطبيعة، فالعمارة في هذه المدن أخذت لون الأرض ومادتها من حجر وشجر وطين، وتنوعت أشكال البناء والأسواق والفضاءات بين المباني، حسب المناخ وطبيعة المكان وهطول الأمطار ومجاري الوديان.

هكذا تشكلت المدن التاريخية اليمنية الثلاثة، ومدن وقرى أخرى كثيرة، أصبح لكل منها حكاية ورواية، لم تعد بيوتها وأسواقها مجرد بيوت وأسواق، أصبحت تاريخاً ورمزاً وعنوان هوية، تلك هي السردية الكبرى للمجتمعات التاريخية التي لا تقف عند حافة العالم، لكنها تتجذر في الأرض وتتعمق في الذاكرة.

إن علاقة الإنسان بالمكان، بالمدينة وبيوتها وأسواقها وحاراتها في مثل هذه المدن التاريخية تغدو أكبر من مجرد سكن ومأوى أو تجارة وصناعة، إنها علاقة وجود، ليس بمعنى الحياة وحسب، ولكن بمعنى الكينونة، الكيان المتأصل بالتاريخ والهوية والجذور، وهي علاقة تتجاوز حدود الحجارة والخرسانة المسلحة وقوالب الاسمنت.

ولهذا تبدو قضية المدن التاريخية مسألة تتعلق بالهوية والوجدان والإحساس بالانتماء إلى المكان والتاريخ، إنها مسألة تتعلق بالوعي والثقافة وتحتاج إليهما، أكثر من الحاجة إلى القوانين والتشريعات التي تمنع وتردع، أو الشرطة التي تحبس وتصادر، إذ يجب أن يسكن الأحساس بقيمة التاريخ وأهمية الإرث المعماري داخل عقول أهالي هذه المدن وفي وجدانهم.

ولكن ليس هذا الموضوع الذي نويت كتابته.. إنها مقدمة وإن طالت قليلا، بسبب الجدل الذي يدور داخل زبيد وخارجها ورأي فرض نفسه للخوض فيه، وأنا اقترب من زبيد وأحاول اكتشاف عجائبها أو الإجابة على الأسئلة التي تطرحها على نحو ما يقول الكاتب الايطالي ايتالو كالفينو في كتابه الجميل" مدن لا مرئية".

هل تعتقد أن المدن تنشأ من عمل العقل أو من عمل المصادفة؟ ولكن لا العقل ولا المصادفة بكافيين لإقامة جدرانها. وأنت لا تستمع بمدنية ما سبب عجائبها السبع أو عجائبها السبع والسبعين، ولكن بسبب الجواب الذي تحمله لك على سؤال من اسئلتك.

أو بسبب السؤال الذي تطرحه عليك. فتجبرك المدينة على أن تجد له جواباً، كشأن طيبة على لسان ابي الهول".

> ماهي الأسئلة التي نصادفها عند أسوار زبيد؟.

أهي أسئلة الحاضر أم اسئلة الماضي،؟ هل ندخل المدينة لنكتشف سحر المكان وكيمياء العلاقة التي تتفاعل وتتشكل من الطين والقش وماء الذاكره، أم أن اسئلة أخرى ترتبط بهموم الناس ومعاناتهم داخل تلك المباني الطينية المهترئه؟

الإنسان حارس الوجود وحامل ذلك الميراث، كيف يبدو، هل هو شقي بذلك الميراث، يسعى لهدمه غير مكترث بتلك السردية الكبرى التي ترويها المدينة.

أم أنه مرتاح بذلك الميراث، سعيد بما يحمله من طين وقش في جدران البيوت وأروقة الشوارع ومنارات المساجد.

فخور بالانتماء إلى هذه المدينة المزروعة في عمق التاريخ، والتي تحمل عناصر الهوية وأصالة الوجود.

لا شك أن المنظر من خارج المدينة يختلف عن المنظر من الداخل، وربما أن أسئلة بوابات زبيد لا يدركها إلا الغرباء، أما أبناء المدينة فلهم أسئلة أخرى أو عندهم أسئلة أخرى يطرحونها على الغرباء والقادمين إلى مدينتهم يملأهم الحنين الرومانسي إلى الماضي والرغبة بامتلاك طبيعة المكان وأصالة التاريخ.

تبدو زبيد لهؤلاء الغرباء مكانا للفرجة والمشاهدة فضاء لاستعادة الماضي دون أي شعور بمتاعب العيش، ومعانات السكن في مدينة غير متصالحة مع العصر، إنها شكل من السياحة التاريخية، أو الرحلة عبر الزمن، لكنها سياحة عابرة أيضاً.

فالزائر للمدينة لا يكلف نفسه أن يبيت ليلة فيها، إنه يكتفي بالتقاط الصور للبيوت " والمناظر" لكنه لا يعرف شيئاً في المدينة حتى قناني المياه المعدنية يأتون بها في حقائبهم اليدوية. كذلك الحرف اليدوية والصناعات التي يشتغلها أهالي " المدينة" لم تعد صناعات جاذبة للسائح لا للتاجر اليمني.

هكذا يظل الفقر سيد الموقف في هذه المدينة التاريخية. ويظل السؤال الأهم: هل يكفي التاريخ طعاماً للفقراء وهل تشبع الهوية البطون الجائعة!

لكن هذه الأسئلة لا تبرر أن نهدم المدينة على رؤوسنا، بل تدفع للتفكير على نحو مختلف، إذا أن على هذه الأرض ما يستحق البقاء.

> إن الجدران والأبواب والنوافذ والطرقات والأسواق وأشياء أخرى كثيرة في هذه المدن، ليست أشياء صامتة، إنها تتكلم بلسان التاريخ

طائر القلق

عبد الإله الشميري

خاو على عرشه..إنسانُه المرهقُ
والليل من حوله:سيارةٌ تغرق
يودلو أنها طيرٌ تسابق ما
تثيرهُ ساعة النجوى..ولا تسبق
يقيم من قلبه للحلم أروقة
وقلبُه في بلاط الحزن كالبيدق
فيعتريه احتمالٌ نصفه قلقٌ
ونصفه ذكرياتٌ بابها مغلق
كأن أسرابها بئر معطلة
لاانشق عن مائها دلوٌ ولاشقشق
* * *
الحزن إنسانُه الثاني على جهة الـ
ـمداد،إمّا بكى..شيطانُه صفق
لاكذِب الناي لما قص سيرته
على العصافير أعشاشاولاصدق
ولا رأى في المرايا حجم حسرته
الحمراء في وجهه المحفوركالخندق
* * *
(تعز):سجانه الأنثى...وعالقةٌ
صداه في ليلها من قبل أن يخلق
يذود عن مشرقيها كل هائمة
لكي تنام حواريها ولاتُسرق
وكلما دسّ شمسا في ظفائرها
نفى(شميرُ)الصدى ستكبرت(سورق)
* * *
يشتق للحبر أجراسا تحرره
من الحنين وينسى أنه المشتق
الحبر في وعييه : كأسٌ وغانيةٌ
وفي يديه : غرابٌ فاحم ينعق
يعلي علاه؟ولايعلي تحيره
إرادتان بمجهوليهما المطلق
كأنه لايرى إلا بحيرته
ولايعيرُ يداً..إنسانُه المرهق
إذا رأى الأغنيات الخضر عاريةً
يخرّ من مأزق...يهوي إلى مأزق
* * *
المزهريات: غربانٌ إذا خلع الـ
ـمساءُ ثوبا عليها والندى:زئبق
والتسمياتُ كلون البحر واحدة!
لافرق إن لمها للرمل أو فرق
فهوالغريق إذا مالحظٌ حالفه
وراق للبحر، وهو البحروالزورق
وهوالرشيق إذاأصغى لشاردة
من الشعارات..لاينحازللأرشق
يدري بأنّ مياه البحرمالحة
ومثله البحر...يدري إنه أحمق
ماذا يضيف إليه لو تأمله
وصاح: يابحرهذا لونك الأزرق؟
* * *
الضدوالضد عرافا نبوءته
وشاهدا عدله في الحق واللاحق
مثل:"الجروح قصاص" أينما اتفقت
تساويا عندها الصبّارُ والزنبق
* * *
لكنه...والمعاني نحتُ خبرته
ماضره لو بكى الأطلال أو أملق
ماضره والمدى في المال غارقة
إن لم يكن في المدى(بقشان) أو (شولق)؟
يكفيه إن لم يفك المالُ ثيمته
أن المدى سندس والحزن إستبرق
* * *
تهزّه لليالي الخضر رغبتُه
وتصطفيه إذ مارفّ أو حلق:
أحراشُ ظل وأقواس معلّقة
يكاد في سحرها اللجيّ أن يغرق
لامثله عالقا في السحر يشبهه
فضاؤه الحزن إلا طائرالقلق
هما البهيان جدا في بآبئه
إذاعوى ثالث ٌأو رابعٌ بقبق
يكاشفان غيوبا لاشريك لها
ويغسلانهما بالحسن والرونق
يبللان عيون المشتهى ألقا
ويرصفان غناءً سمعَه الأخرق
سبحان من زوق المعنى لغيرهما
بوحي حزنيهما..سبحان من موسق

موسيقى النسيان

محمد المهدّي

أرأيت مصير الترهيب الشائك, ذاكرةً؟ .. كيف رأيت الرهبة.. كيف؟.. لعلك تنسى أو تتناسى.. هل شوّش أبعادك سوءُ الظن, أم الظن أساء لموسيقى الطيف؟؟

****

خذلت اللون الأبيض, حين رميت بفرشاة الرؤيا في أحلام اليقظة, ليتك ما خاصمت الصحو؛ تُفكر أنك واليت الصحوة...لم تصحُ تماماً, وعليك بأن تتأكد من أجواء حواسك, بقراءة ما يجري من صفحة ما لا يجري.. حاولْ أن تتأكد من أهداب الماء المبصر: هل تملك علماً في تأويل الظمأ الأعمى؟... اغسل عن وجهك, وجهك؛ قد تشعر أنك قابلت الصحو ولامست نعومته..

****

في الواقع: لا النوم ولا الصحو, جديران بمنح الإنسان حياة أخرى, أو قدراً غير المكتوب بأكثر من ماء في لوح الرمل: الشر هو الشر, الخير هو الخير, وهذي الدنيا أرملة الوقت.. الإنسان هو الحرف العاقل في الجدول, والرقم المجنون: الصفر الناطق بالمتناقض.

****

أسئلة لا حصر لها, قلت: الواحد أربعة, قالوا: من قال لنا ذلك ؟.. من قال ؟.. ألمْ يسألني أحدٌ عن أحد ؟! أن الواحد أربعةٌ... يا أصحابي: ربع الشّيء هو الوجه الرابع؛ لكنّ التوجيه سؤالٌ متهمٌ بسؤال..

****

مذ خلق الله الأرض, وهذا الإنسان غريبٌ جداً, يغمض عينيه أمام الخوف الخائف؛ فيرى أقمار سكينته, تمنحه دفء النور الرباني, ويفتح عينيه؛ ليحتضن عواطفه؛ ليطارح أضغاث اليقظة في جفن الواقع؛ فيفاجئه من غير مفاجأة: شيءٌ ما..يتوقع ما لا يتوقع.. هذا الإنسانُ غريبٌ مثلاً...من غير مثال!!.

****

يظل يفكر, ويفكر في أشياء واضحة.. قلقاً يتساءل:....؟؟ يأخذه قلق المجهول إلى أكثر من هاوية, لا تحتمل الخوف, وهل هذا كان هو الحزنَ؟ يسير إلى الحزن بلا حزنٍ, ومتى ابتلعته الأحزانُ؛ يقوم بهضم المعنى المتحجر؛ فيصير جديراً في تسمية الأشياء, وثانية: يجهل تعريف الحيرة..

****

هذي معرفةٌ كاملةٌ: الاسم بلا اسم.. ظل ينادي من أقصى حنجرة شاردةَ: يااااااااااااااااااااا.., ويحدق أبعد منّ ذلك/ أبعد من غيبوبته, والأصوات خيالٌ..

****

غريبٌ جداً.. يتذكّر !! ينسى !! .. عاش جميع الأحوال, ومات جميع الأحوال, ورغم المعرفة الكاملة بها؛ سيظل غريباً؛ ستقوم قيامته في الحال, وما زالت حالته النفسيةُ تسأله: كيف الحالُ ؟.

تحولات مدينة

بيروت - كتب الباحث اللبناني نادر سراج عن حقبة قرن من تاريخ بيروت من خلال شخصية بيروتية بارزة وسلالة تلك الشخصية وملحقاتها وكل ذلك للحديث عن حي بيروت وما تعاقبت عليه من احداث.

وقد جاء ذلك في مجلد صقيل موسوعي القطع وبصور فوتوغرافية لناس ومبان ومناظر مختلفة تحمل الى ذهن القارئ ذلك العالم البيروتي القديم الدافئ.

حمل كتاب الدكتور نادر سراج اسما مركبا هو "افندي الغلغول 1854-1940- شاهد على تحولات بيروت خلال قرن". وحمل الغلاف رسما لذلك الافندي الشهير هاشم علي الجمال الذي جُعل نموذجا لذلك الزمن وذلك النمط من الحياة.

ولعل ما ورد تحت عنوان (محتويات) يلقي بالفعل ضوءا على ما جاء بين دفتي ذلك الكتاب الفني الجميل:

الفصل الاول حمل عنوان (السيرة بالكلمات. بيروت العثمانية. سيرة الأمكنة والعائلات والحل والترحال. هاشم علي الجمال.العين البيروتي نموذجا).

الفصل الثاني احتوى على ما يلي: (اخبار الابناء والانسباء ووقائع ايامهم. وثائقنا تحكي احوالنا: احسان عبر شهاداته ووثائقه. "الدوقتور" بشير الجمال: صفحات من حياة حافلة. محي الدين الجمال ضابطا عثمانيا فقاضيا فرعيا فمحاميا لامعا. هاشم في ايامه الاخيرة يحل ضيفا على ابنه عارف في النبك. محمد افندي الجمال: "الاجزائي" والمهندس الزراعي والموسيقي).

وجاء الفصل الثالث على الشكل التالي: (الابناء والانسباء في زمانهم: الوضعات الاخوانية عند التصوير والمكاتبات والتحارير لقضاء الحاجات. دخول عنصر الزمن وشيوع ثقافة القراءة. آخر الكلام).

وتحت عنوان عن سبب كتابة سيرة ذلك العين من حي الغلغول البيروتي، هو (لماذا نكتب سيرة افندي الغلغول؟)، قال نادر سراج "من هنا فهذه النصوص المؤتلفة في تجربة سردية متكاملة سعت قدر الإمكان للتفلت من الموروث التقليدي الحكائي وهي تشهد النور في كتاب موثق ينطلق في اسلوبه وفي مقاربته المادة التاريخية والاجتماعية، من مواصفات السيرة والذاتية لا بل المدينية الجماعية ليلامس فن السرد الروائي".

ويضيف نادر "وهي لا تقتصر على جمع الجزئيات المتناثرة لتشكيل "لوحة الحياة" العائدة لوجيه بيروتي عثماني عاش تحولات بيروت منذ منتصف القرن الثامن عشر وعلى مدى ثمانية عقود، ولا تحمل بالضرورة بصمات الفرد الذي تنعقد حوله الأحداث بغض النظر عن حيثيته الاجتماعية ورتبته وتتماسك مفاصلها وتأتلف مضامينها وهي نصوص تستند الى وقائع وأحداث وتعود الى تواريخ وتستحضر احصاءات وتروي حكايات الايام الغابرة بحلوها ومرها وتكشف عن المسكوت عنه وتستنطق تفاصيل متوارية مملة ومبتذلة في نظر بعضنا ومشوقة وذات دلالة في نظر آخرين، ولكنها تبقى في نهاية المطاف نصا سرديا مؤتلف البنى التركيبية يستظل بروح الجماعة وينضح بروحية كل من بطله وكاتبه، بالرغم من انشغاله برسم صورة عن تبدلات الاحوال اللاحقة بفرد متميز من عائلة بيروتية معروفة".

وفي المجلد الضخم وبين المعلومات الكثيرة التي حملها، فصل مثير للاهتمام عن الألقاب في الزمن العثماني اذ كان بطل الكتاب يحمل لقب (افندي). وعنوان هذا الفصل (الالقاب والكنايات..والجندرية منها).

قال الكاتب "تحفل المذكرات ووثائق الاحوال الشخصية والوثائق الشرعية والمراسلات المثبتة في هذا الكتاب بنماذج حية عن الألقاب والكنايات التي كانت سائدة عصر ذاك.. وللتذكير، فالألقاب العثمانية انواعها وترتيبتها، من بك وتكتب ايضا بيك او بيه، الى باشا الى افندي او الى خواجة (وكانت تطلق تحديدا على معلم المدرسة او الطبيب او كل من كان معتمرا عمامة (...) كانت تسبغ على الافراد المنتسبين الى اعراق معينة او الى ابناء الباشوات او الى كبار الضباط العسكريين او الى كبار موظفي السلطنة او الى اعضاء البعثات الأوروبية".

ويضيف "واذا كان بعض الناس يعتبر ان حملة الألقاب شديدو الحفاظ عليها لأنها عندهم عنوان مجدهم الموروث، ومبعث ما لهم من حياتهم من رفعة شأن، فإن الحاج هاشم وشقيقيه وأبناءه بالطبع، التزم حمل الألقاب التي كان يكتسبها او تسبغ عليه وفق طبيعة مهامه الوظيفية.. ومن المعلوم ان لقب "افندي" هو في الاساس كلمة عامية يونانية الأصل معناها "المولى والسيد"، اخذها الترك عن اليونان ووصلت الينا عن طريق هؤلاء.. وثمة من يعتبر الأصل هو كلمة لاتينية، ولانها جاءتنا عن طريق الأتراك ظن انها تركية او فارسية معناها: الذي يقوم بالعمل بنفسه.. المستقل بذاته.. استعملها العثمانيون للرجل يقرأ ويكتب، ولقبا لبعض كبار الموظفين.. اطلقت على الامراء الاتراك للدلالة على الاحترام.. استخدمتها الفارسية عن التركية وما لبثت بعض الأقطارالعربية ان استخدمتها لقبا كالسيد او المولى ونطقوها "افندم" جوابا محترما للنداء.. وكان هذا اللقب عندنا تارة لقبا فخريا يعطى بمرسوم، وطورا اسم علم يطلقه الاولاد على ابنائهم "افندي" و"فندي".

ويستطرد قائلا "انه يروى ان المتصرف داود باشا وهو الحاكم العثماني لجبل لبنان، هو الوحيد بين المتصرفين الذي كان يمنح لقب افندي بمرسوم.. اما كلمة "افندم" فكانوا في العهد العثماني يصدرون بها العرائض، فيكتبون الى المتصرف "دولتلو افندم حضرتليري" وإلى القائمقام سعادتلو.. وإلى المدير رفعتلو.. وهذان الاخيران حملهما الحاج هاشم لدى تقلده مسؤوليتي القائمقامية والادارة المالية، اما عزتلو التي وردت مرافقة لاسم صديقه وقريبه عمر افندي الغزاوي فتعني (صاحب العزة).. ومن باب العلم بالشيء فالخواجة لفظة فارسية من معانيها: العظيم.. السيد.. التاجر.. الخصي.. ثم تطور معناها الى المعلم والمربي وكان المعلم "الخواجة" قديما مخصيا لأنه يربي اولاد الامراء".

الثورة
Monday : 15 Rabee'a Thany 1434 > 25 February > Issued No. 17630

الازدهار الثقافي

عبدالكريم المدي
almedi2009@hotmail.com

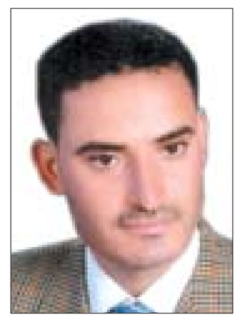

لقد كان الزعيم المصري /العربي الراحل /جمال عبدالناصر مؤمنا أشد الإيمان بأن الإزدهار الثقافي والثورة الثقافية.المبنية على الوعي والاهتمام والتفاعل الكامل من قبل أبناء المجتمع عامةوالجهات المعنية خاصة .يؤدي في المجال الفكري المجتمعي /الجمعي ما يؤديه التصنيع الثقيل في مجال الصناعة والثورة الصناعية عموما ..

لكن في اعتقادي _ وفي هذا العصر والظروف تحديدا _ فإن أي إزدهار ثقافي في هذا البلد أو ذاك لابد أن يكون معبرا عن جوهر المجتمع وفئاته المختلفة واحتياجاته الإجتماعية والعصرية ..بحيث إنه لا يقتصر على فئة من الفئات أو مجال واحد من المجالات أو على مدينة من المدن أوعلى نخبة من النخب.. لأنه لايمكن أن ينجح أي إزدهار أوعمل ثقافي ما لم يكسر الحواجز الطبقية والعرقية والطائفية والسلالية والجهوية. بين كل شرائح المجتمع دون إنتقاء أو تحيز أو إقصاء لأحد..ولنا في هذا أن ننظر للنجاح المهول للمجتمعات العصرية ودول العالم المتقدم التي تمكنت من كسر جاجز الطبقية كثيرا وسنت القوانين المجرمة لأي سلوك أو لفظ عنصري/ طبقي بسبب اللون أو العرق أو الأصل..وقد استفاد من ذلك الكثير حيث خلق التنوع والتعدد مجتمعات متكاملة ومبدعة استفادت من كل الإبداعات والخبرات والعقول العلمية والمعرفية وغيره..حتى أنها فتحت أبوابها لما يسمى ب(هجرة العقول) أي العقول العلمية والإبداعية وهيأت لمئات الآلاف من المبدعين والعلماء كل سبل الراحة والاستقراركي يتمكنوا في المساهمة بنهضة تلك المجتمعات..ولنا أن نستدل "فقط" ..بالولايات المتحدة الأميركية التي يوجد فيها من ذوي الأصول اللاتينية (40) مليون إنسان ..فيهم عشرات الآلاف من كبار العلماء والمخترعين والمفكرين ..

على أية حال..وكون المثقف هو داعية حرية وعقلانية وسلام ووحدة.. فلابد عليه _ إذن _ أن يصلح الإعوجاجات والممارسات الخاطئة في مجتمعه التي تتناقض وما أشرنا إليه مسبقا..وذلك من خلال ما يطرحه من رؤى ومفاهيم وأفكار ..تتسم بالوعي والوسطية والحكمة والحجة والدعوة الصادقة إلى التسامح والحوار والعدالة الإجتماعية والمساواة والتنبيه بمخاطر الإرهاب والفردانية والإقصاء وتوضيح ما معنى أن هناك دائما خوف قادم من أدغال الجهل والتخلف.. ووضع المعالجات والمقترحات والتوعية الكفيلة بتحصين المجتمع من ذلك الخوف والمصائر المجهولة والإحتمالات المرعبة أيضا..

إن الحديث عن دور المثقف وما الذي يحتاجه المجتمع من ثورة وازدهار ثقافي هو حديث مشروع وهام جدا ..كما أنه يعبر عن ضرورةكبيرة وتطلع يهدف إلى استشراف المستقبل والتأسيس له من خلال إيجاد الضمانات التي تقدر العلم والفكر والثقافة والبحث العلمي .

لكن أن يظل المثقف والمؤسسة الثقافية ورأس المال في منأى عن صنع التحولات والعمل على رفض السلوكيات التي تنتمي للظلام والجهل والفساد ..فأعتقد إننا سنظل لا نرى شكلا للمستقبل المنشود الذي يتطلع إليه الجميع..

ولا شك _ أيضا _ أن الثقافة بمفهومها الشامل والذي أهم مافيه الشراكة والتكامل والإنسجام والتعاون بين أبناء المجتمع الواحد وذلك حسبما يرى المفكر العربي_ (نبيل علي) بأنها المكون الرئيسي لأي نسق إجتماعي قوامه المعتقدات والقيم والتقاليد الحاملة للهوية ..ومن حيث كونها أيديولوجيا فذلك إنطلاقا من كونها منظار الفرد الذي يرى العالم من خلاله ...وشفرة تحمل مقومات الحياة الدالة على جماعة ما..

أما الثقافة العصرية التي تقود إليها الثقافة بمفهومها الشامل ..الذي سبق وذكرناه ..فتعني أن المثقف ودوره في المجتمع يتصدى للقتل والفساد والكراهية ودعوات الفوضى وقطع الطرقات وبالمقابل رفد المجتمع بمفاهيم قانونية وأخلاقية وإنسانية ترفض القبلية والعشائرية والجهوية والأيديولوجية بصورها التي تأتي غالبا على أنها فوق القانون ولا تؤمن بالمدنية والحرية والتعدد الذي يقود للتّقدّم..

والثقافة والمثقف الحقيقيان أيضا قادران على بنا النموذج السليم في وعي الناس و رفض المفاهيم التقليدية ذات الأبعاد الإرتدادية ونمط العقل التراجعي الذي يشحذ همم العصبيات ويقتل الولاء لدى هذا الجيل أو ذاك ..من خلال مسميات تتعارض والمنطق السليم وقيم العصر والمصلحة العامة..

وبلا أدنى شك فمجتمعنا بحاجة إلى جيل تنويري .ثقافي .طليعي يتصدر أولوياته واهتماماته.. ويجعل من إمكانية قبول أبناء المجتمع كافة بالإختلاف والتخلص من ثقافة احتكار الحقيقة والرعب والإقصاء لكل فكر مخالف والتفكير بعقابه وعزله..على خلفية سياسية أو دينية أو مذهبية أو مناطقية أو أيديولوجية معينة..

وكي يتم ذلك فالأمر يتطلب توحيد الجهد والسير معا في قلب الصعب وإختراق الحواجز والترسانات التقليدية والجهوية بالتوعية الهادفة والترشيد في توجيه النقد..بما يضمن ويمهد في أخذ البلد خطوة واحدة للأمام وخلق بدايات ناجحة للإزدهار الثقافي المنشود..

> المثقف داعية حرية وسلام وعقلانية وعليه التصدي للممارسات الخاطئة في مجتمعه

اصدارات ثقافية

حبر الكآبة

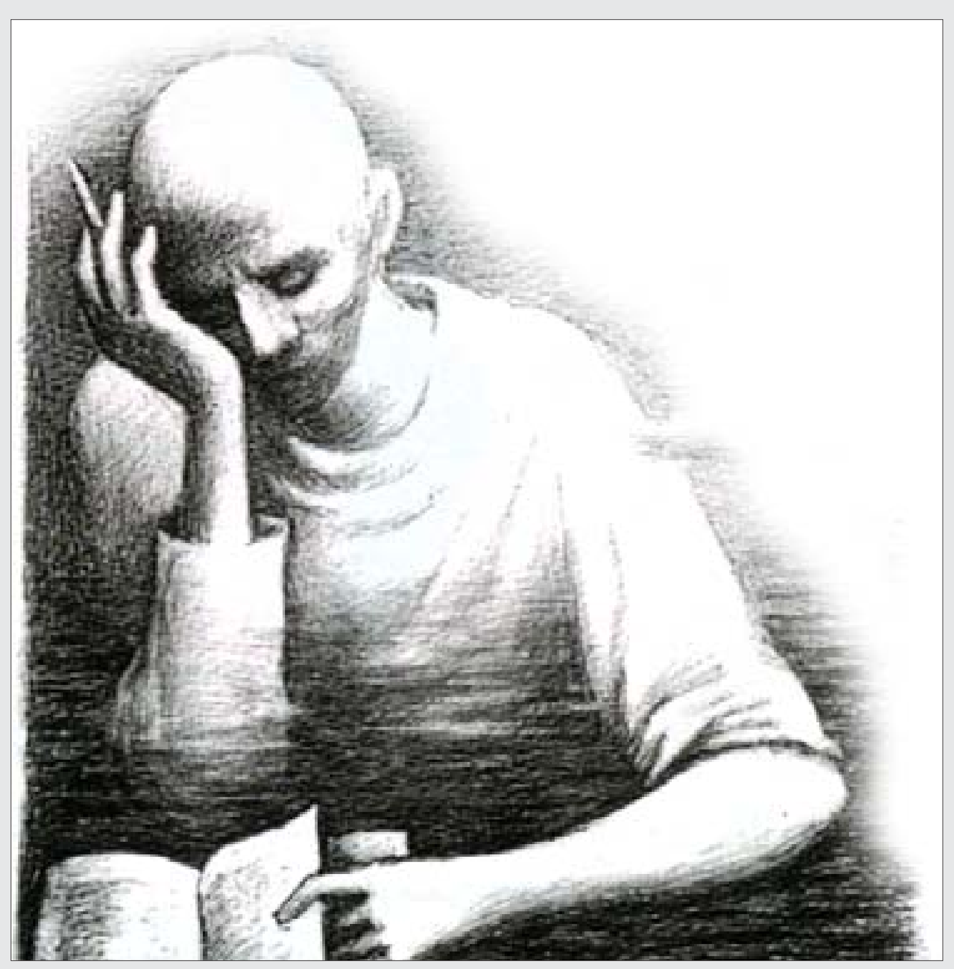

عمل جان ستاروبنسكي، مدة تزيد على عقد من الزمن، طبيباً في مجال العلاج النفساني في مستشفى سيري، قرب مدينة لوزان السويسرية، حيث اهتم بشكل خاص، بدراسة المسار التاريخي لظاهرة الكآبة وسبل معالجتها.

وهو يعود في كتابه الأخير للموضوع نفسه، من زاوية اهتمامه المزدوج بالأدب وعلم النفس، ليؤرّخ للكآبة السوداء على مرّ القرون، وكيفية تبدّي الألم النفساني في النصوص الأدبية الكبرى. ويحمل الكتاب عنوان "حبر الكآبة السوداء - مالنخوليا". والمقصود في هذا الكتاب بالكآبة السوداء، أحد أنواع "الحنين" المشرّب بشيء من الألم، وما يخلق من حالة تساعد على الإبداع.

ويحدد المؤلف القول إن الكآبة السوداء ارتبطت بشكل عضوي، مع أساطير قديمة ومقالات لها علاقة بالتنجيم، وكذا مع منظومات طبية عديدة. وهذه المشارب كلّها، تركت حتى اليوم لآثارها العميقة في مجالات الآداب والفنون.

ويشير المؤلف إلى أنه على مدى أكثر من نصف قرن، لم يتوقف عن الإبحار بين الأدب والطب والفلسفة والفنون. وكان جان ستاروبنسكي قد توقف نهائياً عن ممارسة الطب عام 1958. لكنه استمر بالمقابل في اهتمامه بالتاريخ الطبي وبعلم النفس والتحليل النفساني.

وهو يجمع في هذا الكتاب القسم الأساسي من أطروحته لنيل الدكتوراه في الطب عام 1959، حول "تاريخ معالجة الكآبة". والعديد من النصوص التي كان قد نشرها على مدى عقود، في العديد من الدوريات المتخصصة.

يصادف القارئ في هذا العمل، أسماء اشتهرت في تاريخ الفكر والإبداع الإنساني، وليس أقلّها شأناً هيبوقراط، أبو الطب. وكذا الشاعر بودلير والرسّام فان غوخ، وكثيرين غيرهم، ممن عاشوا في الزمن السعيد الذي كان فيه المبدعون، ليسوا ملزمين باتباع المشرب الضيّق للتخصص.

ويحاول ستاروبنسكي أن يرسم حالة القلق التي تبعثها الكآبة السوداء، ويسمّي الأشكال التي تتبدّى بها. ونجده يقدّمها كحالة "على تخوم الصمت وهي تدمدم كنسمة ضعيفة: كل شيء فارغ وكل شيء عبث.. وما كان مملوكاً قد ضاع. وما كان مأمولاً لم يعد ممكن المنال. غادر المكان قاطنوه. والصحراء المجدبة غطّت المطرح كلّه". ولا يشرح المؤلف، أو يفسّر فقط، حالة الكآبة السوداء، بل هو يؤرّخ لها أيضاً.

إنه يعود حتى القرن الخامس قبل الميلاد لهذا الغرض، فينقل عن هيبوقراط قوله: "عندما يستمر الخوف والحزن طويلاً، فهذا يعني حالة من الكآبة".. ويشرح ستاروبنسكي أنه اهتم بموضوع الكآبة السوداء، بعد عدد من المؤرخين. ويلفت إلى أنها كانت تعني منذ الحقبة اليونانية القديمة، الجنون ذا الأصول النفسانية، ولكن غير الموجودة سوى في الخيال. والتعبير الأفضل عنها، يجده في وصفها أنها "حالة مرتبطة بالشرط الإنساني".

ويميّز المؤلف باستمرار، بين حالات الانهيار العصبي المدمّرة، وحالات الكآبة الخلاّقة ذات العلاقة العضوية مع الإبداع في عالم الأدب والفن خاصّة. والمثال الذي يتردد كثيراً في تحليلاته بهذا الخصوص، يكمن في الكاتب الإسباني الشهير سرفانتس، وعمله المعروف "دونكيخوته"، الذي تحرّك في كل الاتجاهات، بحثاً عن محبوبته. ولكن ما نفهمه في النهاية، هو أن رغبته الحقيقية هي الحركة باتجاهها، وليس الوصول إليها.

وفي المحصّلة، يرى المؤلف أن الكآبة المشوبة بالحنين هي سمة إنسانية بامتياز. ومن لا يعرف الحزن والحداد يقترب من عالم التوحّش.

المؤلف في سطور

جان ستاروبنسكي؛ من مواليد مدينة جنيف السويسرية عام 1920. درس الأدب ثم الطب. عمل أستاذاً في جامعتي جون هوبكنز وبالتيمور في الولايات المتحدة الأميركية. نال شهادة الدكتوراه في الأدب عن أطروحة حول جان جاك روسو. والدكتوراه في الطب حول "تاريخ معالجة الكآبة". من مؤلفاته: العلاقة النقدية، ديدرو في مجال الرسامين

الكتاب: حبر الكآبة السوداء - المؤلف: جان ستاروبنسكي - الناشر: سويل-باريس-2012- الصفحات: 650 صفحة - القطع: المتوسط.